Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط وأهم الإشكاليات والعقبات التي واجهها 22- 91هـ/ 642- 709م

د. فتحية محمد الوداني
قسم التاريخ/ كلية الآداب- جامعة مصراتة
f.elweddani@art.misuratau.edu.ly

الملخص:

دخل الإسلام للمغرب عام 22هـ/ 642م على يد القائد عمرو بن العاص إبان الفتوحات الإسلامية، ولكن لم يكن فتح المغرب بالشيء الهين، حيث استغرق الأمر أكثر من نصف قرن من 22-91هـ/ 642- 709م، فقد واجه الجيش الإسلامي عديد الإشكاليات والعقبات التي عرقلت مسيرته نحو تحقيق أهدافه.

كان الهدف الأساسي من هذه الفتوحات، هو نشر الدين الإسلامي وإدخال شعوبها إلى مجتمع الدولة الإسلامية، وإعلاء كلمة الله تعالى، وتحصين حدودها من الخطر البيزنطي، فأنتجت هذه الفتوحات الإسلامية حضارة إنسانية رفيعة في ظل الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي- المغرب الأوسط- الاشكاليات والعقبات.

The Islamic conquest of the Middle Maghreb, and the most important problems and obstacles it faced 22- 91هـ/ 642- 709م

Dr. Fathia Muhammad Al-Wadani
Department of History- Faculty of Arts- Misurata University

Summary:

Islam entered Morocco in the year 22 AH/642 AD at the hands of the leader Amr bin Al-Aas during the Islamic conquests, but the conquest of Morocco was not easy matter, as it took more than half a century from 22-91 AH/642-709 AD. The Islamic army faced many problems and obstacles that hindered its path towards achieving its goals.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

The primary goal of these conquests was to spread the Islamic religion and bring its people into the society of the Islamic state, uphold the word of God Almighty, and fortify its borders from the Byzantine threat. Resulted in this Islamic conquests created a high human civilization and the shadow of Islam remained.

Keywords: Islamic Conquest- Middle Maghreb- Issues and Obstacles.

المقدمة:

كان تأسيسُ القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري 50- 55هـ/ 670- 674م، عملًا سياسيًّا ذا بعدٍ سياسي، سواء من حيث اتخاذُها مدينة تنطلق منها الجيوش الإسلامية لاستكمال فتح بلاد المغرب ولتعتصم بها الجيوش، أو قاعدة يلوذون بها من بطش كيد الروم وقبائل البربر التي لم تعتنق الإسلام بعد.

وقد شرعت الحياةُ في مدينة القيروان تأخذ نسقها الطبيعي، من تنظيمٍ وإدارة بفضل حنكة عقبة بن نافع وعبقريته إلى أنْ تمَّ عزله من مهامه سنة 55هـ/675م، على يد الوالي مسلمة بن مخلد الذي كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد ولاه أمر مصر وإفريقية، ثم عَيَّن دينار بن أبي المهاجر على أفريقية محل عقبة بن نافع، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الفتح الإسلامي للمغرب بشكل عام، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، ليكون أبو المهاجر دينار أولَ قائدٍ إسلامي يدخل بلاد المغرب الأوسط، ولكنه لم يكن الاستثناء، حيث أُعيد فتحها من قبل عقبة بن نافع، ومن ثَمَّ حسان بن النعمان، فكيف تم فتحها؟ وما هي العقبات والإشكاليات التي واجهتهم؟ وهل استقروا بها وأصبحت مركزًا للجيوش الإسلامية؟

ومن هنا جاء سبب اختيار الموضوع الذي يهدف للإجابة عن هذا التساؤل الذي يُعدُّ إشكالية البحث، وقد وسمت الورقة بعنوان: الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط وأهم الإشكاليات والعقبات التي واجهها 22-91هـ/ 642- 709م.

يُعدُّ الفتح الإسلامي للمغرب من الأحداث التاريخية الكبرى والخالدة في تاريخ الإسلام التي حدثت في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، لما ترتب عليه من نتائج حاسمة غيَّرت مجرى تاريخ هذه البلاد وحددت معالم هويتها، كانتشار الإسلام من ناحية، والتعريب من ناحية أخرى، وبالتالي حدوث عملية الاختلاط بين العرب المسلمين بالبربر في بوتقة الإسلام وتحول المغرب إلى جزءٍ من عالم الإسلام

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

والعروبة، كما عُرف بالمغرب العربي، ذلك المصطلح الذي أطلقه الجغرافيون العرب لأول مرة، ليعبِّروا به عن شمال إفريقيا بعد انتشار الإسلام والعروبة، وذلك دلالة على العهد الجديد، وللقضاء على الأسماء القديمة التي كانت تهدف إلى تمزيق وحدة شمال إفريقيا، (العدوي، 1970م، ص9)، ثم بدأت مراحل الفتح الإسلامي للمغرب التي استهلها القائد عمرو بن العاص، (ابن عذاري، 1983م، 8/1)، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب، والتي سنسلط عليها الضوء من خلال هذه الدراسة، على مراحل فتح المغرب الأوسط، ثم الإشكاليات والعواقب التي واجهت الفاتحين وفق الآتي:

إنَّ حدود بلاد المغرب تبدأ من مدينة الإسكندرية غربًا إلى غاية سلا المغربية شرقًا، وتنقسم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام: القسم الأول من الإسكندرية إلى طرابلس الغرب، وهو أكبرها مساحة وأقلُّها عمارة، والقسم الثاني من طرابلس الغرب إلى بلاد الجريد، ويُطلق عليه بلاد الزاب الأعلى، والقسم الثالث من بلاد الجريد إلى تيهرت وهي بلاد الزاب الأسفل، والقسم الرابع من تيهرت إلى مدينة سلا وهي آخر المغرب، (ابن عذارئ، 1983م، 5/1).

ويوجد تقسيمٌ آخر للبلاد المغربية، حيث قُسمت ثلاثة أقسام وفق الآتي: المغرب الأدنى وقاعدته مدينة القيروان، ويضم مدينةَ طرابلس الغرب، وسُمِّيَ بالأدنى؛ لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة، ثمَّ المغرب الأوسط وقاعدته تيهرت، ثمَّ المغرب الأقصى، وسُمي الأقصى؛ لأنه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة، وهو ما يلي المغرب الأوسط من وادي ملوية مع جبال تازا إلى حدود المحيط الأطلسي غربًا، (سعدون، 2003م،ص15-16).

أما عن المغرب الأوسط –موضوع الدراسة– فهو اسم تاريخي، والذي أطلق تحديدًا في العصور الوسطى الإسلامية على المنطقة المعروفة بدولة الجزائر حاليًّا، فقد ذكر حسين مؤنس أنه " يمتد من مجرى نهر شلف حتى مجرى نهر يجري حاليًّا في شرق المملكة المغربية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، يُسمى نهر _مولوية_ ملوية"، (مؤنس، 1980م، ص22)، حيث يمتد من مدينة بجاية شرقًا إلى وادي ملوية غربًا، وقاعدته مدينة تلمسان، وهي دار مملكة زناتة، ومتوسطة قبائل البربر، ومن مدنه المشهورة كذلك مدينة تاهرت، (البكري، د.ت، ص76، مجهول، 1985م، ص176، محمود، 2003م، ص2)، ومن خلال هذا التعريف أو التخصيص قُسم المغرب الأوسط لمساحاته الشاسعة، تاريخيًّا إلى قسمين:

شرقي: ويُسمى إقليم تاهرت، ويتميز بالجبال والغابات.

وغربي: ويُعرف بإقليم تلمسان، ويتميز بالمراعي والسهول، (مؤنس، 1980م، ص22).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

أولاً/ مراحل الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط

1. **في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.**
2. **في عهد الخليفة يزيد بن أبي سفيان.**
3. **في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان**

توالت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، فبعد الفتوحات التي تمّت في بلاد المشرق، تطلّع المسلمون إلى امتداد هذه الفتوحات لتشمل بلاد المغرب؛ بهدف نشر الدين الإسلامي هناك، وتصفية الإمبراطورية البيزنطيّة؛ لأنَّ بلاد المغرب كانت في ذلك الوقت تابعةً لها، وكانت من الدوافع التي حذت بالمسلمين إلى الزحف لفتح تلك البلاد؛ حماية ظَهر الإسلام وتوطيد أركانه في بلاد الشام ومصر، وتحصيل موارد جديدةٍ لبيت مال المسلمين، والسعي لتقوية صفوف المسلمين وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، حيث حثَّ الإسلام أتباعه على تأمين الدعوة الإسلامية، وتبليغها للجميع؛ لأنها دعوة الحق، ولأنهم مكلَّفون بتبليغها للعام والخاص، فمن هذا المفهوم وضع الرسول –صلى الله عليه وسلم–أسس السياسة الخارجية للجهاد في سبيل الله.

1– في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان:

قام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (40–62هـ/ 660- 681م)، بتولية معاوية بن حديج واليًا على مصر وإفريقية، وأمره بغزو بلاد المغرب فعسكر بقمونية، ومن هناك انتقل إلى القرن واتخذها مركزًا لعملياته العسكرية ثم غزا بنزرت، وغنم غنائم كثيرة، ويجب أن نذكر بالخصوص إنَّ ابن عبد الحكم شكَّ في صحة هذا التاريخ فقال عن غزوة 34هـ/ 654م، هذه إنها غزوة لا يعرفها كثير من الناس، ثم ذكر أنَّ لابن حديج غزوتين أخريين في إفريقية في سنة 41هـ/ 661م، وفي 50هـ/670م، (ابن عبد الحكم، 1995، ص220- 221)، وقد اتفق ابن عذاري مع ابن عبد الحكم في تاريخ الغزوتين الأولى والثانية، ولكنه اختلف معه في الثالثة فذكر إنها وقعت سنة 45هـ/665م، (ابن عذاري، 1983م،14/1- 16، 18).

أ– بداية الفتح الفعلي للمغرب وبناء القيروان:

وفي سنة 50هـ/671م تمَّ تعيين عقبة بن نافع– حيث ذكر بأنّه دخل إلى المغرب مع ابن خالته عمرو بن العاص، وكان في مرحلة الشباب، حيث كان مع والده نافع بن قيس، وبعد عودة عمرو بن

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

العاص إلى مصر، ترك عقبة ووالده ضمن حامية صغيرة من الجند ينتقلون ما بين برقة وفزان وودان وزويلة، وبهذا نشأ عقبة نشأة جهادٍ وتمرس في شؤون القتال، وأصبح شخصية عربية أفريقية على اتصال مباشر بشؤون المغرب وتوثيق العلاقات بالعرب والبربر على حدٍّ سواء، (مؤنس، 1980م، ص34-35)، ، لذا عين واليًا على إفريقية، من قِبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، الذي عرف لعقبة جهاده وحسن بلائه في المغرب، حيث كان مقيمًا في برقة وزويلة منذ فتحها أيام عمرو بن العاص، (ابن الأثير، 1980، 230/3)، ولهذا كافأه بتعيينه قائدًا للجيش العربي الإفريقي "بعدما ظلّ قائدًا مرؤوسا لمدة طالت إلى أكثر من خمس وعشرون سنة"، (عبد الحميد، 1999م،1 /191).

قام عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان، فهل جاء بناءُ هذه المدينة اعتباطيًا؟ أم نتيجة لمعطيات أو إشكاليات كانت تعوق حركة الفتح؟ كان إنشاؤها من أهم الأحداث في تاريخ الفتح الإسلامي، وفي تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية في المغرب، حيث يعدُّ إيذانًا ببدء عهد جديد، "ستصبح مركز المغرب، ومقر للحضارة، ومعقل للإسلام"، (ابن عذاري، 1983، 19/1 -20)، فلقد أصبحت منارة للحضارة الإسلامية، ناهيك عن الجيوش والبعوث التي تخرج منها لاستكمال فتح بلاد المغرب، واتخاذها قاعدةً للجيش الإسلامي، كان الفقهاء يخرجون منها لينشروا الإسلام ويعلِّموا العربية، فقد كان لها دورٌ بارزٌ في إدخال البربر إلى الإسلام، لا يقلُّ عن الدور الذي قام به القواد الفاتحون، (محمود، 2003م، ص18)، فقد كان عقبةُ في "أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب، ودخل كثير من البربر في الإسلام، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها"(ابن الأثير، 1980م، 3 /230)، ولكن لم تُتح لعقبة بن نافع الفرصة لتنفيذ سياسته لمواصلة الفتح الإسلامي للمغرب، وذلك لعزله عن الولاية سنة 55هـ/676م، (ابن عذاري، 1983م،21/1، سعدون، 2003م، ص36).

ب- أبو المهاجر دينار (55-62هـ/ 674- 681م)، والفتح الإسلامي للمغرب الأوسط:

عُزِل عقبة عن ولايته في ظروف غير واضحة، إلا أنَّ معظم المؤرخين يربطون عزله بولاية مسلمة بن مخلد لمصر، فيقولون إنَّ معاوية بن أبي سفيان استعمل مسلمة، وجعل له مصر وإفريقية فكان "مسلمة أول من جُمعت له مصر والمغرب"، (ابن عبد الحكم، 1995، ص197، ابن الأثير، 1980م،231/3، ابن عذاري، 1983م، ٢١/١، السلاوي، 2007م، 1/ 70- 71)، بمعنى أنَّ الخليفة معاوية جعل لمسلمة حرية التصرف في أمور إفريقية بعدما كان يتدخل مباشرة في شؤون الفتوح في المغرب، ويمكن أنْ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

يفسَّر عزل عقبة بسبب السياسة العنيفة التي كان يتبعها في المغرب، والتي كانت على ما يبدو لا ترضي مسلمة الذي اتبع سياسة مغايرة لها تمامًا، أو ربما كان بسبب التنافس بين كلٍّ منهما، حيث يذكر المؤرخون أنَّ عقبة عُزل أسوأ العزل، وأُهين وحُبس حتى تدخَّل الخليفة لخروجه من المحنة، (ابن عبد الحكم، 1995م، 225، ابن عذاري، 1983م، 22/1).

عُرف الوالي الجديد بكنيته أبو المهاجر أكثر من اسمه دينار، فقد كان مولى لمسلمة بن مخلد، فعندما عزل عقبة قيل لمسلمة لو استعملت عقبة وأقرته على افريقية، فإنَّ له فضلاً وسابقة، وهو الذي بنى القيروان" فقال مسلمة: "إن أبا المهاجر كأحدنا، صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نيل! فنحن نحب أنْ نكافيه ونصطنعه"، (ابن عبد الحكم، ص225، ابن عذاري، 1983م، 22/1)، غادر أبو المهاجر دينار مصر على رأس جيشٍ متجهًا إلى إفريقية، ولكنه كره النزولَ في قيروان عقبة، وآثر النزول في مدينة تُنسب له، وتكون قاعدة للمسلمين بدلاً من القيروان؛ فيذكر ابن عبد الحكم أنه عندما "قدم أبو المهاجر إفريقية كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع، ومضى حتى خلفه بميلين، فابتنى ونزل"، (ابن عبد الحكم، ص225)، وقال المالكي: "إنه نزل بفحص بتونس، ويقال: نزل سبخة وبنى بها"، (المالكي، 1994م، 31/1)، وحسم ابن عذاري الخلاف حول موضع نزول أبي المهاجر؛ حيث قال: "ونزل خارجًا عن المدينة، وكره أن ينزل الموضع الذي اختطه عقبة، ومضى حتى خلفه بميلين، مما يلي طريق تونس، فاختط بها مدينة، وأراد أنْ يكون له ذكرها، ويفسد عمل عقبة، فبنى مدينة وأخذ في عمرانه"، (ابن عذاري، 1983م، 22/1)، ولكن! ما ذكر شيء مبالَغ فيه، فلا يمكن خلال فترة وجيزة بناء مدينة من قبل أبي المهاجر دينار، ولكن الأرجح أنه نزل في موضع آخر غير القيروان، يُدعى بـ "دكرور"—وهي مدينة بربرية بالقرب من القيروان-(المالكي، 1994م، 32/1)، أقام فيه قصرًا لإمارته ومسجدًا جامعًا وأضاف بعض المنشأة الضرورية لعسكره بعدما رحل عن القيروان، ولهذا السبب اختلط الأمر على بعض الرواة فنسبوا إليه بناء مدينة جديدة، (سالم، 1981م،2/ 214).

انتهج أبو المهاجر سياسة جديدة في الفتح، اختلفت عن سابقتها، فقد كان عقبة رجلاً متشددًا، بعيدًا عن السياسة، أما أبو المهاجر فنجده رجل سياسة، سعى من خلالها لكسب مودة أهل البلاد من البربر، ولكن! على الرغم من أنَّ ولاية أبي المهاجر للمغرب طالت سبع سنوات 55- 62هـ فإن المؤرخين يمرون على ولايته سريعًا دون ذكر التفاصيل لقد برر السيد عبد العزيز سالم عدم ذكر تفاصيل ولاية أبي المهاجر دينار، لأنها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية، أو بسبب استياء الرواة لتصرفات أبي

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

المهاجر وإساءته لعقبة، (سالم، 1981م، ص215)؛ بينما سعد زغلول يُرجع ذلك "إلى الفهريين من أقارب عقبة الذين كان لهم مركز ممتاز في مصر والمغرب والأندلس، وكان من بينهم رواة وإخباريون"، (عبد الحميد، 1999م، 197/1)، إلا أنه يمكن أنْ نستخلص منها أنَّ أبا المهاجر قد أدرك وجود حلفٍ بين بربر أوربة البرانس والروم البيزنطيين، وهذا من بين أهم المعوِّقات والإشكاليات التي واجهت المسلمين أثناء الفتح الإسلامي للمغرب؛ فكيف تعامل أبو المهاجر مع هذه الإشكاليات للتغلب عليها، حتى يتمكن من مواصلة الفتح ونشر الإسلام في ربوع وفيافي المغرب؟ هنا تبرز مقدرة أبي المهاجر دينار السياسية في التعامل لحلِّ هذه الإشكالية.

أدركَ أبو المهاجر دينار التحالفَ القائم بين بربر أوربة البرانس والبيزنطيين الذين تفرغوا لشؤون المغرب بعدما انشغلوا أيام قسطنطين الرابع بغزوات العرب لبلادهم، وحصارهم للقسطنطينية مرتين في سنة 48هـ/ 668م، وفي 55هـ/674م، (العدوي، 1957م، ص47- 55)، وقد شعر البربر بخطر العرب على بلادهم منذ أنْ أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان، فجمع الهدف المشترك بين البربر والبيزنطيين للوقوف في وجه الفتح الإسلامي، لذا آثر أبو المهاجر دينار أن يبدأ بمحاربة بربر أوربة القاطنين في نواحي مدينة تلمسان، متصرفًا تبعًا لخطة دقيقة، فخرج على رأس جيشٍ من المسلمين متجهًا إلى مراكز البربر وأحلافها من البرانس، ففتح ما مرَّ عليه حتى انتهى إلى ما عُرف بعيون أبي المهاجر قرب تلمسان، وواصل المسير حتى أبواب تلمسان وتمكّن من السيطرة عليها وفتحها، (المالكي، 1994، 1/ 33، السلاوي، 2007م، 1/ 71)، ثم صالح كسيلة الأوربي وأحسن إليه بعد أن اعتنق الإسلام، وهذه سياسة أبي المهاجر المخالفة لسياسة عقبة العسكرية، التي استطاع أبو المهاجر من خلالها اكتساب البربر باللين والمداراة، (عبد الحميد، 1999م، 198/1)، وانطلاقا من أنَّ الشعوب على دين ملوكها، كان من الطبيعي أنْ تُسلم قبائل البربر البرانس بعد إسلام زعيمهم كسيلة، وكان ذلك في صالح المسلمين؛ لأنه استطاع أنْ يفصم عرى التحالف البربري البيزنطي الرومي، حيث نجح أبو المهاجر بفضل مؤازرة كسيلة وأتباعه من التقدم باتجاه قرطاجنة في سنة 59هـ/ 678م معقل الروم "فخرج إليه أهلها، فالتقوا وكثر القتل بين الفريقين حتى حجز الليل بينهم، وانحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلاً في قيلة بولس (يقصد تونس)، ثم عاودوهم وصالحوهم على أنْ يجلوا عن الجزيرة (جزيرة شريك)، ثم افتتح المذكور ميلة، وكانت إقامته بها في هذا الغزو نحوًا من سنتين، (المالكي، 1994م، 1/،33 السلاوي، 2007م، 1/ 71)، ولكن أبا المهاجر دينار لم يصالح البربر فقط؛ بل صالح كذلك عجم إفريقية على حد قول المالكي، (المالكي، 1994م، 33/1)، عاد

بعدها إلى مدينته سنة 61هـ/ 680م، وأقام بها عامًا واحدًا حتى عُزل، حيث بقي حاكمًا لبلاد المغرب إلى سنة 62هـ/682م، (ابن عذاري، 1983م، 23/1).

وبذلك يعدُّ أبو المهاجر دينار أول قائد عربي إسلامي وطئت خيله بلاد المغرب الأوسط، وهذا دلُّيل على مقدرته السياسية، وكياسته في كسب زعيم بربري.

ج- ولاية عقبة الثانية واستشهاده:

بوفاة معاوية بن سفيان وخلافة ابنه يزيد بن معاوية(62-64هـ)، استقطع ولاية إفريقية من مسلمة بن مخلد والي مصر، وعزل أبا المهاجر دينار ليعيد تعيين عقبة بن نافع مرة ثانية واليًا على إفريقية، وتذكر معظم الروايات بأنَّ عقبة بن نافع كان متعجلاً في الرجوع إلى ولايته، لعلَّ ذلك ليكمل مشواره لاستكمال الفتح الإسلامي للمغرب، الذي لم يكمله في ولايته السابقة، فوصل عقبة إلى القيروان على رأس جيش من المسلمين بينهم خمسة وعشرون صحابيًّا، فاعتقل أبا المهاجر وصادر أمواله، وأساء معاملة صاحبه كسيلة الأوربي، (ابن عبد الحكم، 1995م، ص226، ابن الأثير، 1980م، 308/3-309، ابن عذاري، 1983م، 1/ 23، السلاوي، 2007م، 1/ 71-72).

سار عقبة في جيش عظيم متجهًا إلى مدينة باغاية مخلفًا وراءه على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن القيس البلوي، مع ستة آلاف جندي للدفاع عن المدينة، مصطحبًا معه أبا المهاجر مكبلاً بالحديد، وكذلك كسيلة الأوربي، دار قتال مع الروم وانتصر عليهم وغنم المغانم الكثيرة، ثم تابع تقدمه غربًا عبر طريق الزاب الصحراوي، واشتبك مع الروم في وادي المسيلة وهزمهم، (المالكي، 1994م، 34/1، ابن عذاري، 1983م، 1/ 24، ابن خلدون، 1971م، 108/6)، حيث واجه مقاومة عنيفة من البيزنطيين الذين انهزموا أمامه، ودخل الناجون منهم مدينتهم وتحصنوا بها، فحاصرهم مدة ثُمَّ ارتحل عنهم خشية أنْ يشغلوه عن غيرهم، وبعد أن ألحق الهزيمة بالروم في تازولت توجّه صوب بلاد الزاب وهزم ما كان بها من البربر، وسار إلى تيهرت التي تجمعت فيها قبائل البربر من زناتة ومكناسة وهوارة وغيرها، وهنا نلاحظ سعي عقبة لدخول منطقة المغرب الأوسط التي كانت تعد القاعدة الأساسية لتمركز بربر البرانس، وما ذاك إلا لأهمية المنطقة وموقعها الاستراتيجي ومواردها الاقتصادية، لذا نلاحظ عندما اقترب عقبة من المدينة استغاث البربر بالروم الذين أسرعوا لنجدتهم، لأنهم وجدوا الفرصة سانحة للانتقام من العرب، وليجدوا تحالفهم ضد المسلمين، وقد وصفه ابن عذاري بقوله: "وقد اجتمع الروم والبربر في إقليم تيهرت اجتماعًا عظيمًا"، (ابن عذاري، 1983، 25/1، ابن خلدون، 1971م، 109/6)، الأمر الذي جعل عقبة يقف بالناس

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

خطيبًا يستنهض هممهم لمواجهة عدوهم، واستطاعوا هزيمة أعدائهم وقضوا على مقاومتهم في المغرب الأوسط، (المالكي، 1994م، 1، 36، ابن عذاري، 1983م، 1/ 25).

سار عقبة بن نافع حتى بلغ إمارة طنجة بالمغرب الأقصى، (عبد الحميد، 1999م، 206/1)، واقتحم مياه المحيط الأطلسي بفرسه، ولو لم تمنعه مياهه لواصل الفتح حتى يعبد الله وحده، ثم فتح وليلي، ثم عرج على بلاد السوس وهزم البربر الصامدة بها، (ابن عذاري، 1983م، 26/1).

رجع عقبة بن نافع قافلًا إلى إفريقية، وكان أبو المهاجر وهو معتقلًا مصاحبًا له في غزواته ومعه كسيلة الذي كان يستهينه عقبة، وكان أبو المهاجر يشير على عقبة بالإحسان إليه اتقاء غدره، ولما بلغ طبنة، أمر جيشه بالانصراف إلى القيروان وبقي معه ثلة قليلة من الجند، وفي طريقه إلى تهوده (ببسكرة)، لقيه كسيلة بن لمزم ومن معه من البربر والبيزنطيين الذين استنفرهم، فهُزِم جيش عقبة واستشهد مع أبي المهاجر دينار في المكان المسمى اليوم بسيدي عقبة، (ابن عبد الحكم، 1995م، ص226- 227؛ المالكي، 1994م، 1/41-42).

لعل معاملة عقبة بن نافع لزعيم البربر كسيلة الذي استخفَّ به رغم وصية أبي المهاجر له، قد أثار حقد كسيلة فأضمر الغدر بالمسلمين، إضافة إلى عنف عقبة مع البربر الذي عبَّر عنه ابن الأثير بقوله: "وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا، وغنموا منهم وسبوا سبيًا كثيرًا"، (ابن الأثير، 1980م، 3/ 308)، وهذا أزعج البربر مما جعلهم يجددون تحالفهم مع الروم، ويساندون بعضهم في بعض المواضع في المغرب الأقصى، ثم "أتت الصعوبات التي لقيها عقبة في نهاية الحملة، واستشهاد عدد كبير من أصحابه لتشجع التحالف بين الروم والبربر في المغرب الأوسط أيضًا"، (عبد الحميد، 1999م، 1/ 210) ، وعلى إثر ذلك حشد كسيلة معظم قبائل أوراس والمغرب الأوسط، وزحف بهم نحو القيروان، فـ"خرج من كان فيها هاربين، إذ لم يكن لهم طاقة بقتاله، لعظيم ما اجتمع عنده من البربر والروم، فأمن كسيلة من بقي بالقيروان من المسلمين، وأقام بالقيروان أميرًا على سائر إفريقية والمغرب، وعلى من فيه من المسلمين"، (ابن عذاري، 1983م، 31/1)، وبذلك خرج جيش المسلمين من إفريقية بعد أربعين سنة من الجهاد؛ ولكن رغم خسارتهم للأرض إلا إنهم كسبوا أعدادًا كبيرة من البربر الذين اعتنقوا الإسلام وظلُّوا محافظين على عقيدتهم الدينية الإسلامية.

د- ولاية حسان بن النعمان:

كان لاستشهاد عقبة وأصحابه دويٌّ هائلٌ وحزن عميق في نفوس المسلمين، حيث اضطربت أحوالُ المغرب، وعمت الفوضى أرجاءه، واضطر المسلمين للانسحاب من القيروان إلى مدينة برقة، التي ظلَّ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

فيها زهير بن قيس البلوي ينتظر الإمدادات من دار الخلافة التي كانت تمر بظروف صعبة – نقصد بالظروف الصعبة التي تمثلت في ثورة عبدالله بن الزبير التي استمرت طيلة ثلاثة عهود من خلافة الدولة الأموية: يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان الذي تمكّن في نهاية الأمر من القضاء عليه، وإعادة تثبيت أركان الدولة الأموية –، ورغم ذلك قرر الخليفة عبد الملك استرجاع إفريقية، وقد تمكن من ذلك على يد زهير بن قيس البلوي سنة 69 هـ/689م، وقتل كسيلة في معركة عرفت بـ(معركة ممش)، (ابن الأثير، 1980م، 3/ 309) بينما كتبت "ممس" لدى المالكي، (المالكي، 1994م، 45/1)، قرر بعدها زهير العودة إلى دمشق، فصادف عودته هجوم الروم على برقة، فأمر بقتالهم فاستشهد مع أصحابه الذين كان جُلُّهم من التابعين، (ابن عذاري، 1983، 1/ 33).

توقفت الفتوحات الإسلامية أربع سنوات، وهذه تعد إحدى الإشكاليات التي أوقفت حركة الفتح أمام الجيوش الإسلامية للمغرب، وذاك لانشغال الخليفة عبد الملك بن مروان بالقضاء على عديد الثورات التي كانت تهدد مقر الخلافة وحكم الأمويين – كثورات الجراجمة في بلاد الشام، والقيسيين بقيادة زفر بن الحارث بقرقيسياء، وحركة عمرو بن سعيد بن العاص في دمشق، وثورة مصعب بن الزبير في العراق وأخيه عبدالله في الحجاز –، (سعدون، 2003م، ص48)، بعدها تفرَّغ للمغرب، وأعد جيشًا وعين عليه حسان بن النعمان بن المنذر الغساني، الذي كان بطلاً شجاعًا غزَّاءً، افتتح في المغرب بلادًا، (الذهبي، 1996م، 294/4، ابن عذاري، 1983م، 34/1)، واليًا، ودخل القيروان سنة 74 هـ/693 م، ومضى في استرداد مدنها الواحدة تلو الأخرى متبعًا خطة عسكرية أفضت به إلى مقابلة الروم والبربر كل فريق على حدة، فكما نعلم أنَّ هذا التحالف من أهم العواقب التي كان لزامًا على قادة الفتح مواجهته للتغلب عليه، كلٌّ حسب سياسته العسكرية، فاختار أبو المهاجر دينار قتال الروم أولاً، (ابن الأثير، 1980م، ج4، ص31)، حتى تمكَّن من السيطرة على قرطاجنة عاصمة الروم في أفريقية، (المالكي، 1994م، 1/ 49، ابن عذاري، 1983م، 35/1)، "فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم، ولم يترك حسان موضعًا من بلادهم إلا وطئه"، (ابن الأثير، 1980م، 4/ 32، وبعد هذه الانتصارات على الروم اتجه لمحاربة البربر الذين كانت تقودهم الكاهنة الزناتية ملكة جبل الأوراس، (المالكي، 1994م، 1/ ٥٠؛ ابن الأثير، 1980م، 4/ 32)، وكان تمركزها بالمغرب الأوسط، لما يتمتع به من موقع استراتيجي، ومركز اقتصادي، ناهيك عن القوة الاجتماعية المتمثلة في عديد القبائل البربرية مثل قبيلة صنهاجة، التي كانت تحتل قبل المغرب الأوسط، (ابن خلدون، 1971م، 154/6)، فتصدَّت له الكاهنة الزناتية ملكة جبل

الأوراس، (طه، 2004م، ص48- 49)، ذاك الجبل القريب من باغاية بإفريقية، طوله نحو اثنى عشر يومًا، مياهه كثيرة وعمارته متصلة، وفي أهله نخوة وتسلط على من جاورهم من الناس، (الحميري، 1984م، ص65)، عندما سبقته إلى حصن باغاية، (الحميري، 1984م، ص76)، ودارت بينهما معركة بوادي مسكيانة، (الحميري، 1984م، ص558)، انتهت بهزيمة جيش حسان، وأطلق على المكان اسم (وادي العذارى) لكثرة القتلى من الشباب، وأسرت الكاهنة ثمانين من العرب منهم خالد بن يزيد العبسي، (المالكي، 1994م، 1 /50- 51، ابن عذاري، 1983م، 1/ 36، ابن خلدون، 1971م، 6/ 109)؛ لأنه لم يقدِّر قوة البربر تقديرًا كافيًا، مما أدى إلى هزيمته أمام الكاهنة الزناتية، وتراجع جيش حسان إلى برقة بعد أنْ قتل منهم الكثير ينتظر الأوامر من عاصمة الخلافة، وملكت الكاهنة بلاد المغرب كله، وظنًّا منها أنَّ المسلمين دفعتهم الغنائم والأموال لقتالها فقط؛ فقامت بتخريب المدن وقطع الشجر وحرق المزارع مما زاد من سخط البربر عليها؛ فأضحت الأسباب مهيأةً لحسان بن النعمان لتحقيق النصر عليها، وبعد عدة سنوات تمكَّن من إعادة الكرة، وقام بقتال جيش الكاهنة وتمكَّن من هزيمتها وقتلها في مكان أصبح يعرف فيما بعد باسم بئر الكاهنة، وكان ذلك في سنة 82هـ/701م، وبعد مقتل الكاهنة التزم البربر الهدوء وأخلدوا للطاعة، وعاد حسان بن النعمان إلى القيروان، (المالكي، 1994م، 1/ 52 – 53، ابن عذاري، 1983م، 1/ 37- 38، ابن خلدون، 1971م، 6/ 109)

هـ- موسى بن نصير وتوطيد الفتح الإسلامي للمغرب:

قام والي مصر عبد العزيز بن مروان بتعيين موسى بن نصير واليًا على بلاد المغرب، فـ"ظروف عزل حسان وولاية موسى بن نصير لأفريقية تشبه إلى حد كبير ظروف عزل عقبة وولاية أبي المهاجر دينار"، (عبد الحميد، 1999م، 1 /241)، فعندما تسلم مقاليد الولاية، خرج على رأس الجيش، ولما سمع البربر بقدومه فرُّوا أمامه فقام بفتح قلعة زغوان ونواحيها، وبعث ولديه عبد الله ومروان وتمكنا من فتح القيروان، وتمَّ إخضاع قبائل كتامة وزناتة وهوارة، وأذعن البربر لحكمه وحسن إسلامهم، ومنذ ذلك الحين أصبحت بلاد المغرب بما فيها المغرب الأوسط ولاية إسلامية، وتمت هيمنةُ موسى على كل شمال الأفريقي بعد ما يربو على سبعين سنة من الجهاد، حيث بدأ موسى بإخضاع قبائل البربر التي خرجت عن طاعة المسلمين بعد مسير حسان إلى المشرق، وكذلك التي لم تكن قد خضعت مثل قبيلة صنهاجة، (الدينوري، 1960م،2 /50، ابن عذاري، 1983م، 1/ 40- 41)، وتجدر الإشارة إلى أن معظم الروايات التاريخية تبالغ في عظم النتائج التي حصل عليها موسى في حملاته، فالمؤرخون لا يتكلمون إلا على أعداد خيالية من السبي

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

والأسرى تصل في بعض المدن إلى 100 ألف رأس وأكثر، (ابن عبد الحكم، 1995م، ص232؛ ابن عذاري، 1983م، 1/ 40- 41، القيرواني، 1994م، ص52) ولكن الباحثة تتفق مع ما ذكره العدوي عن حملات موسى للمغرب الأوسط، حيث ذكر أن موسى بن نصير كرس "حملاته نحو المغرب الأوسط، بعد أن جعل ظهره آمنًا تمامًا في إفريقية والزاب، فأرسل أحد قادته، وهو عياش بن أخيل إلى المغرب الأوسط واستطاع أن يدخله في طاعة المسلمين"، (العدوي، 1970م، ص118)، وأردف موضحًا سياسة موسى في ذلك، من خلال تعليماته التي اعطاها لقائده، التي كانت تنص على "معاملة القبائل الراغبة في الصلح معاملة كريمة، وترك تدبير أمورها بيد أناس من أهلها... وأصر موسى على أخذ رهائن من تلك القبائل ضمانًا لاحترامها للعهود والمواثيق"، وقد جاءت هذه السياسة بنتائج مهمة في تاريخ الفتح الإسلامي، (العدوي، 1970م، ص118- 119).

ثالثًا/ الإشكاليات والعقبات التي واجهت قادة الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط:

تعددت الإشكاليات التي شكَّلت عقبات في طريق الفتح الإسلامي للمغرب، فلم يكن فتح بلاد المغرب بالأمر الهيّن، فقد استغرقت الفتوحات أكثر من (سبعين عاماً)، وما ذاك إلا لأسبابٍ عديدة، سنأتي على ذكرها تباعًا فيما يأتي:

1. **عدم وجود قاعدة إسلامية في المغرب:**

كانت أولُ الإشكاليات التي واجهت الفتح الإسلامي للمغرب هي عدم وجود قاعدة تمكنهم من التغلب على الطبيعة الجغرافية، وكذلك تساعدهم في الوقت نفسه من الاتصال بالسكان الأصليين، لأنهم هم القوة الحقيقية في شمال إفريقيا، لذلك كان على العرب المسلمين تحرير القبائل البربرية أولاً، ثم التحالف والتعاون معهم للقضاء على البيزنطيين في قاعدتهم قرطاجة وتحرير بلادهم، ونشر الدين الإسلامي بينهم، حيث جاء قرار عقبة بن نافع لبناء هذه المدينة من واقع تعايشه في بلاد المغرب منذ بداية الفتح أيام عمرو بن العاص، لذا لاحظ عقبة أنَّ أهل هذه البلاد كانوا "إذا دخل إليهم أمير أطاعوه وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتد من أسلم "، بالإضافة إلى إنه كان بحاجة لوجود مدينة يكون بها جيش المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة أهل البلاد، (ابن الأثير، 1980م، 3 /230).

لذلك أدرك عقبة بن نافع من خلال خبرته الطويلة في المنطقة أهمية وجود قاعدة إسلامية في المغرب لضمان عدم تمرد البربر في حالة انسحاب جيوشهم، فكان إن ابتدأ عقبة ببناء المدينة مؤكدًا على

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

عاملين أساسيين في اختيار الموقع هما: أنْ يكون بعيدًا عن البحر من أجل ضمان سلامة المدينة، والثاني: أنْ يكونَ الموقع في منطقة خصبة معشبة حتى ترعى بها إبل العرب المستقرين، (المالكي، 1994م، 1/ 32).

2. الوجود البيزنطي:

ذكر الرقيق القيرواني "وهم البيزنطيون الذين وجدوا في البلاد إذ ذاك، وكانوا حكام البلاد"، (1994م، ص19)، وقد شهدت إفريقية أيام الإمبراطور هرقل عصرًا من السلام عاش سكانها في حرية واطمئنان، وقد استغلّ ذلك البابا جريجوري فأرسل البعثات التبشيرية إلى الدواخل، ونجح القساوسة في نشر الدين المسيحي بين البربر، وكان البيزنطيون يريدون الاحتفاظ بأفريقيا بأي ثمن، وذلك بعد أن طردهم المسلمون من مصر والشام، (سعدون، 2003م، ص23).

كان القسم الغربي من طرابلس إلى طنجة قبيل الفتح الإسلامي يحكمه البطريك جريجوريوس، الذي أنابه الامبراطور هرقل في حكم تلك البلاد، لكنه خلع طاعة الامبراطور كنستانز واستقلّ بإفريقية متخذًا قرطاجنة عاصمة ملكه، وضرب الدنانير باسمه، ونقل عاصمته إلى مدينة سبيطلة، التي تقع بعيدة عن البحر، ربما لأنه كان يخشى من غزو الأساطيل البيزنطية بعدما أعلن خروجه وانشقاقه عنها، أو قد يكون بسبب خشيته من هجوم المسلمين، لذا عمل على تحصين بلاد المغرب من الشرق، (سالم، 1981م، 2/ 77- 78).

3. سعة بلاد المغرب ووعورة تضاريسها:

المغرب الأوسط "فيه مدن كثيرة، وقاعدتها تلمسان"، (مجهول، 1985م، ص176)، وذكر في تحديد معالم المغرب الأوسط، " وجدَ المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان، بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران ومليلة وغيره من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل، التي في أول الصحراء، على الطريق إلى سجلماسة، (مجهول، 1985م، ص176)، فالمغرب الأوسط: تحيط به الحدود الطبيعية من البحار والجبال والصحراوات، فهو يطل شمالاً على البحر المتوسط بساحل يمتد ألفًا ومائتي كيلو متر، من القالة شرقًا إلى الغزوات غربًا، ويحتوي هذا الساحل على العديد من الخلجان التي ساعدت في إقامة عديد الموانيء التي أسهمت في عمليات التبادل التجاري أو في الأغراض الحربية، مثل خليج وهران، وبجاية، وسكيكدة، وعنابة، أمّا عن الحد الجنوبي فكانت الصحراء هي الرقيب الآمن على سلامتها، حيث تكثر في الإقليم الصحراوي عيون الماء والواحات التي تنتشر لتهيئ للقوافل التواصل مع ما جاورها من البلاد العربية

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

كإقليمي برقة وطرابلس، والمغرب الأقصى، ومن أشهر المراكز الصحراوية: تلمسان، وتاهرت، وورجلان، وبسكرة، ويصل بين هذه الحدود البحرية والصحراوية امتداد سلسلتي الجبال المعروفة بأطلس التل وأطلس الصحراء، وقد أحاطت هذه الجبال بعدة سهول خصبة كسهل وهران وسهل ميتجة وسهل عنابة، أما أطلس الصحراء فتنحصر بينها وبين أطلس التل مجموعة من الهضاب تعرف باسم الشطوط، يتخللها أحيانًا سهولًا خصبة داخلية مثل سهل تلمسان وسهل قسنطينة، وقد احتوت السلاسل الجبلية مجموعة من الأودية مثل وادي نهر ملوية، الذي يفصل بينها وبين المغرب الأقصى، تاركًا ممرًّا واحدًا بينهما هو مايعرف بممر تازا، ليتحكم المغرب الأوسط في الاتصال التجاري والحضاري مع المغرب الأقصى، حتى إنَّ الإدريسي وصف أشهرَ مدنِها وهي تلمسان بأنها "قفل المغرب"، (الإدريسي، 1989م، 1 /250)، بينما غلب على امتداد تلك الجبال شرقًا طابع التعقيد، حيث إنها تأخذ في الضمور كلما اتجهت من الغرب إلى الشرق حتى تكاد تختفي عند بسكرة، التي تشرف على الممر الطبيعي المؤدي من الشمال إلى الجنوب، فعرفها بلقب (عتبة الصحراء)، ثم تعود الجبال للارتفاع بشكل فجائي شرقي بسكرة حيث تظهر جبال الأوراس الشامخة، التي أكسبت المغرب الأوسط حصنًا مهمًّا من حصونها المنيعة، (العدوي، 1970م، ص11-12)، فالمغرب عبارة عن منطقة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب (حوالي 4000 كم) يحيط بها البحر المتوسط شمالا، والمحيط الأطلسي غربا، كذلك تحدُّها من الشمال سلسلة جبال الريف، التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى قرب تلمسان (قاعدة المغرب الأوسط) شرقًا. أما في الجنوب فهناك سلسلة جبال أطلس التي تمتد من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، (محمود، 2003م، ص3).

4. كثرة قبائلها وبسالتها وعنفها في القتال:

"والبربر السكان بالمغرب قبائل لا يلحق عددهم، ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعّب أفخاذهم وقبائلهم"، (ابن حوقل، 1938م، ق1، ص100)، هذا ما ذكره ابن حوقل عن كثرة أعداد القبائل البربرية، ومن اشهر القبائل البربرية التي تقطن المغرب الأوسط، قبائل كثرة من زناتة، ك"مطغرة وغيرهم من قبائل زناتة، وزناتة تتشعب على قبائل كثرة، (مجهول، 1985م، ص176- 178 - 179) أما عن عصبيتهم وتعصبهم فيقول: "وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم"، (ابن حوقل، 1938م، ق1، ص100)، ومن هنا فإنَّ ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات، ففي جبال أوراس كانت تقطن قبائل جراوة التي أتعبت العرب في أواخر القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي، وهي من زناتة، فعن مقاومة سكان جبل أوراس ذكر ابن سعيد المغربي:

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

"وسكانه أهل دعارة [وعارة] وعصيان، لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل، ولما عندهم من الخيل والرجال والأسلحة"، (ابن سعد المغربي، 1970م، ص145)، وتعدُّ قبائل جراوة من فروع قبائل زناتة البدوية التي قطنت المغرب الأوسط على أيام ابن خلدون، أمَّا قبل ذلك فكانت تقطنها قبيلة أوربة التي سكنت في غرب الزاب وفي أوراس حيث قال ابن خلدون: "أما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كانت لمغراوة وبني يفرن، وكانت معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة، (ابن خلدون، 1971، 6/ 102)، كما كانت مجموعة من كبرى قبائل البرانس تقطن القسم الشرقي من المغرب الأوسط هي كتامة، التي قال عنهما البكري وابن خلدون: "من قبائل البربر بالغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعًا في الملك"، (البكري، د.ت، ص63، ابن خلدون، 1971م، 6/ 148)، وصنهاجة "من أوفر قبائل البربر وهو أكثر أهل الغرب ...لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط"، (ابن خلدون، 1971م، 6/ 152)، وقد جُبلت هذه القبائل على التعصب والأنفة، وقوة المراس وعدم الانصياع، فلم يُغن فيهم الغلب الأول الذي كان لابن أبي سرح عليهم شيئًا في سبيطلة، وعاودوا بعد ذلك للثورة والردَّة مرة بعد أخرى، وعظم الإثخان من المسلمين فيهم حتى قيل: إنَّ البربر ارتدت 12 مرة، ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير؛ فكانت مقاومتهم للمسلمين، ولذا كانوا أشد عنفًا من مقاومة الفرس والروم المدرِّبين لهم، ولعل مرجعية ذلك لكونه مجتمع قبلي، قائم على العصبية القبلية، التي ساهمت فيها الطبيعة الجغرافية والجيولوجية، من خلال صعوبة التضاريس، نظرًا لامتداد الجبال التي عزلت أقاليم بلاد المغرب عن بعضها البعض، مما جعل زعماء القبائل عاجزين عن إقامة سلطة سياسية موحدة تنصهر فيها جميع القبائل المغربية، لكي يتحول الولاء من القبيلة إلى الوطن، كما يمكن أن نرجع ذلك أيضًا لسياسة الفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين الذين من خلال سيطرتهم على بلاد المغرب تجنبوا الاحتكاك بسكانه، وامتنعوا عن التعامل معهم إلا بالقدر الذي يخدم مصالحهم ويضمن لهم جباية الضرائب، ويحفظ سلامة وآمن تجارتهم البرية والبحرية، على حساب سكان البلاد الأصليين، لذا ظل سكان المغرب محافظين على موروثهم وعاداتهم وتقاليدهم، رافضين كل ما هو جديد، ومن هنا جاء تخوفهم من المسلمين، بأن يكونوا مثل من سبقهم.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

5. الغارات البحرية البيزنطية على المسلمين:

يعتمد الدفاع البيزنطي عن المغرب على القواعد البحرية، التي شكَّلت سلسة عظيمة من الحصون الساحلية تمتد على ساحل البحر كحبات العقد؛ من برقة حتى مدينة طنجة، بينما كانت قواعد الأساطيل تنتشر في صقلية وجنوب إيطاليا، وقرطاجنة، بل مدينة سبتة نفسها تعد قاعدة للبحرية البيزنطية، (محمود، 2003م، ص11)، ومعنى هذا أنه تحتم أنْ تكونَ معاركُ الفتح بحريةً أكثر منها برية، وبذلك سيكون النصر حليفًا لمن يمتلك أقوى أسطولاً وأمنع حصونًا، لهذا كانت غزواتُ الفتح الإسلامية في بدايتها مجردَ غارات خاطفة وانتصاراتٍ سريعة ليس لها أثر بعيد باقي، كان البيزنطيون يريدون الاحتفاظ بأفريقيا بأي ثمن، بعد أنْ طردهم المسلمون من مصر والشام، في الوقت الذي كانت القوى البحرية الإسلامية بأفريقيا لا تزال ضعيفة، فقد تعرض المسلمون لضربات قاسية من الأسطول البيزنطي، الذي ركَّز قواه هناك لكون الإمبراطور قسطنطين خليفة هرقل، بعد أنْ هزمه المسلمون في وقعة ذات الصواري (34 هـ)، (حسن، 1991م، 214/1)، نقل مقرَّه إلى صقلية لحماية الأم (روما)، قبل حماية البنت (القسطنطينية).

6. قلة أعداد العرب الفاتحين وبُعدهم عن قواعدهم:

لقد كانت قلةُ أعداد المسلمين الفاتحين في المغرب، بالنسبة لمساحة البلاد الشاسعة، وكذلك بالنسبة لكثافة سكانها، تحول بينهم وبين تحويل فتوحاتهم إلى فتوح ثابتة ومستقرة، فقد كانت بداية الفتح الإسلامي في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 22- 23هـ/ 642- 643م، بقيادة عمرو بن العاص الذي فتح برقة وطرابلس، ولكنه لم يكمل فتح إفريقية كما تمنَّى، فلما كان عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه 23- 35هـ/ 643- 655م، اختار عبدالله بن أبي سرح سنة 27هـ/ 647م، وكان والي مصر لقيادة جيش المسلمين الذي كان يضمُّ عددًا من الصحابة كعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالرحمن بن عوف، ومروان بن الحكم وغيرهم، حتى سمى هذا الجيش بجيش العبادلة لاحتوائه على عدد كبير ممن تحمل أسماؤهم العبد، وانتصر المسلمون على جيش الروم الذي كان بقيادة جرجير في معركة سبيطلة، وهنا يجب أن نقف لنلاحظ أمرين مهمين:

الأمر الأول: أنَّ جيش المسلمين لم يكن يزيد تعداده وفق ذكرٍ بعض المصادر عن عشرين ألفًا من المسلمين، ورغم ذلك تغلبوا على جيش الروم ومن يساندهم من البربر.

الأمر الثاني: انسحاب المسلمين رغم انتصارهم في المعركة، ولعلَّ ذلك يرجع لقلة أعداد الجيش العربي الإسلامي الذي لم تشجع قيادته على المقام نهائيًّا بعد هذه الحملة التي وصلت إلى سبيطلة، ولكنها لم

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

تغامر للوصول إلى قرطاجنة قاعدة الروم وميناء أسطولها البحري، ووفق ما ذكر ابن عبد الحكم و ابن خلدون أنه قد عين معاوية بن سفيان معاوية بن حديج على رأس حملة أفريقية، وقد افتتح عدة قصور صحراوية وانتهى إلى قونية، وتكرر غزوه مرتين أخريين، كما كلَّف عقبة بمدِّ الفتح إلى أقاصي الصحراء لودان وفزان وزويلة ومزاتة وغدامس، بل بلغت خيله قفصة وقصطيلية، (ابن عبد الحكم، 1995م، ص210، 220- 228، ابن خلدون، 1971م، 107/6- 109)، ولكن كل ذلك لم يكن يعني الشيء الكثير؛ لأنَّ كل هذه الغزوات كان تعد مجرد حملات استطلاع لبلاد المغرب، فكانت الجيوش الإسلامية ما هي إلا سرايا صغيرة تعتمد طريقة الكر والفر للحفاظ على حدودها وإثبات وجودها في تلك المناطق، فهذه السرايا كانت تعدُّ قليلة العدد مقارنةً بسكان المغرب، لذا كان ذلك حائلًا دون استقرارهم حتى سنة 50هـ/ ، كما أنَّ بعدهم عن مركزهم في الجزيرة العربية والشام، بل وحتى في مصر، كان يحرمهم من المدد الواسع الكثيف.

7. الحروب الأهلية في مقر دولة الخلافة:

كان ما يحدث في مقرِّ الخلافة له تأثير مباشر على حركة الفتح الإسلامي للمغرب، فبالرغم من انطلاقة حركة الفتح كانت سنة 21هـ/ 641م، في عهد الخليفة عمر بن الخطابﷺ 13-23هـ/ 634-643م، إلا أنه آثر وقفها بعدما كاتبه قائد جيشه عمرو بن العاص يستأذنه في استكمال عمليات الفتح بعدما منَّ الله عليه بفتح برقة وطرابلس، قائلاً: "لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدورة بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"، (ابن عبد الحكم، 1995م، ص200)، فكان المرة الأولى لوقف حركة الفتح التي استؤنفت في عهد سيدنا عثمان بن عفانﷺ، لتوقف إثر مقتله، وحدوث الحرب الأهلية وقيام الفتنة؛ مما عطَّل المسلمين عن القيام بأية غزوات للمغرب لمدة ثلاثة عشر عامًا، حتى انتهت باستلام معاوية بن سفيان أمور الخلافة سنة 41هـ/ 661م، (ابن الأثير، 1980م، 203/3- 204، العروي، 1994م، 122/1).

تجددت حركة الفتح، وإن كان عليهم أن يبدأوا من الصفر من جديد، ثم تجدد هذه الحروب الأهلية في مقر الخلافة الأموية بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان 60هـ، (الطبري، د.ت، 180/6-181)، وانتقال الخلافة بالوراثة إلى ابنه يزيد، هذا الأخير الذي لم يكن محلّ إجماع المسلمين، ورغم ذلك أقدم على إعادة تعيين عقبة بن نافع، ولكن تعيينه لم يعجل باستكمال الفتح، بل على العكس من ذلك، ربما لأنه اتبع سياسة مغايرة عن سلفه أبي المهاجر دينار، مما أسفر عن استشهاده ورفاقه، فكان على العرب المسلمين الانسحاب من القيروان لبرقة، ليدخلها كسيلة ويسيطر عليها قرابة أربع سنوات، (المالكي،

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

1994م، 1 /43- 44، ابن الأثير، 1980م، 309/3، ابن عذاري، 1983م، 31/1)، وخلال هذه الفترة سيطر البربر على المناطق الداخلية من الشمال الإفريقي، بينما أحكم البيزنطيون هيمنتهم على الشواطئ، وانشغلت الخلافةُ بمشكلة مطالبة عبدالله ابن الزبير بحقِّه في الخلافة، ورغم ذلك عين الخليفة عبدالملك بن مروان زهير بن قيس البلوي ليستعيد ما خسره العرب المسلمين في المغرب، (المالكي، 1994م، 44/1- 47)، وبالفعل تمكن زهير البلوي من إعادة حقَّ المسلمين في القيروان، ولكنه قرر الرجوع إلى بلاد الشام، التي لم يصل إليها؛ لاستشهاده في طريق العودة، فعين الخليفة عبد الملك حسان بن النعمان في سنة 74هـ/ 693م، الذي حقق انتصارًا على البيزنطيين، لكنه لم يقدر قوةَ البربر تقديرًا كافيًا مما أدى إلى هزيمته أمام الكاهنة، الأمر الذي اضطره للانسحاب لبرقة من جديد، لتتوقف حركة الفتح خمس سنوات حتى تصله الإمدادات من مقر الخلافة، (القيرواني، 1994م، ص47).

خلاصة البحث: من خلال هذا البحث الموسوم بعنوان **الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط وأهم الإشكاليات والعقبات التي واجهها** 22- 91هـ/ 642- 709م، الذي هو موضوع الدراسة، توصلت إلى النتائج التالية:

أنَّ جهودَ العرب المسلمين وتضحياتهم في فتوح المغرب، لم تذهب سدى، وبفضلها دانت كلُّ بلاد المغرب لحكم الإسلام، ودخل البربر أفواجًا في دين الله، ولم يكتمل القرن الأول الهجري حتى صار معظمهم مسلمين صادقين في إسلامهم، ومتحمسين لرفع رايته.

جاء تأسيس القيروان دليلًا على أن هدف المسلمين، هو نشر الإسلام بين السكان الاصليين (البربر)، وكسبهم لهذا الدين الحنيف، وذلك من خلال بناء المدينة بين ظهرانيهم ووسط قبائلهم، لتمثل القيروان واسطة العقد للامتداد الإسلامي في مرحلته الأولى في بلاد المغرب، ومفتاح باب للمغرب الأوسط، وما والاها من أرض المغرب الأقصى.

كان أبو المهاجر دينار أولَ قائد عربي تطأ أقدامه أرض المغرب الأوسط، ليشكل بداية مرحلة جديدة في طريق الفتح العربي الإسلامي، حيث استطاع كسب البربر إلى جانبه بمصانعته لزعيمهم كسيلة؛ فضَمِنَ انضوائهم تحت لوائه، ليقضي على تحالفهم مع الروم البيزنطيين، ليبرهن أنه رجل الموقف فعلاً.

دخل الإسلام وانتشر، وأخذ أهالي المغرب بتلابيبه، وصارت حياة البربر ومعاملاتهم قائمة على أساس الشريعة الإسلامية، ليتسم الفكر السياسي للمغرب الأوسط على ركائز أساسية، تمثلت في التقاليد المغربية القديمة، والعقيدة الإسلامية الجديدة، لتمتزج مكونة الطابع الخاص للمغرب الأوسط، الذي ضمن له

المقومات الأساسية، من تقاليد وعادات وثقافة، ودعمت هذه المقومات بالروح والعقيدة، ومن هذا المنطلق، حفظ الإسلام في شمال أفريقيا مواقف وبطولات على مر العصور، وأنجب لها أبطالًا وقادة وبُناة حضارة إسلامية.

جهود قادة الفتح العربي الإسلامي كلٌّ حسب سياسته، لخدمة الإسلام وأهله، حتى وإن وجدت الخلافات الشخصية فهي طبيعة بين البشر، إلا أنَّ هدفهم واحد، متمثل في نشر الدين الإسلامي.

أكرم الله تعالى العرب المسلمين بعد تلك التضحيات الكبيرة التي قدموها في فتح المغرب، التي تُوّجت بإسلام سكانه، بفتح إسبانيا التي أدّى البربر دورًا كبيرًا وملموسًا في فتحها، من خلال حملة عسكرية، كان على رأسها طارق بن زياد، وذلك حبًّا للعقيدة وتضحيةً من أجلها، لا طمعًا في مغنم، أو حرصًا على جاه.

المراجع:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (1980م)، *الكامل في التاريخ، ط3*، بيروت: دار الكتاب العربي.

- ابن حوقل، أبو القاسم، (1938م)، *صورة الأرض، ط2*، بيروت: دار صادر.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1971م)، *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي المغربي، (1970م)، *: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي*، بيروت: منشورات المكتب التجاري.

- ابن عبد الحكم، (1995مْ) *فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر*، د.م: مكتبة الثقافة الدينية.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

- ابن عذاري، المراكشي، (1983م)، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق: ج.س.كولان، وإ.ليفي بروفنسال*، بيروت: دار الثقافة.
- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، (1989م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، بيروت: عالم الكتب.
- البكري، أبو عبيد، (د.ت)، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، وهو جزء من *كتاب المسالك والممالك*، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- حسن، حسن إبراهيم، (1991م)، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط13*، بيروت: دار الجيل.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (1984م) ، *الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2*، بيروت: مكتبة لبنان مطابع هيدليرغ.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (1960م)، *الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر*، القاهرة: دار إحياء الكتب.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1996م)، *سيرة أعلام النبلاء، تحقيق:* شعيب الأرنوط *ومأمون الصاغرجي، ط11*، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- سالم، السيد عبد العزيز، (1981م)، *المغرب الكبير، العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية*، بيروت: دار النهضة العربية.
- سعدون، نصر الله، (2003م)، *تاريخ العرب السياسي في المغرب*، بيروت: دار النهضة العربية.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

- السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد، (2007م)، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الطبري، محمد بن جرير، (د.ت)، *تاريخ الأمم والملوك*، بيروت: مكتبة خياط.

- طه، عبد الواحد دنون، (2004)، *دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي*، بيروت: دار المدار الإسلامي.

- عبدالحميد، سعد زغلول، (1999م)، *تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)*، الاسكندرية: منشأة المعارف.

- العدوي، إبراهيم أحمد، (1957م)، *الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط*، *د.ن.* القاهرة: د.ن.

- العدوي، إبراهيم أحمد، (1970م)، *بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي*، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

- العروي، عبدالله، (1994م)، *مجمل تاريخ المغرب*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

- القيرواني، الرقيق،(1994م)، *تاريخ أفريقية والمغرب*، *تحقيق: محمد زينهم محمد عزب*، د.م: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.

- المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد، (1994م)، *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ط2، تحقيق:* بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No25, Sep 2024
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2024
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام: 2024/05/19 تاريخ النشر: 2024/09/01

- مجهول،(1985م)، *الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد،* الكويت: دار الشؤون الثقافية العامة.

- محمود، منى حسن أحمد، (2003م) ، *دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،* القاهرة: دار الثقافة العربية.

- مؤنس، حسين، (1980م)، *معالم تاريخ المغرب والأندلس،* القاهرة: دار ومطابع المستقبل.